إبطال دعوى عبد العزيز القارئ
أنَّ (التصوف) هو (عين التوحيد) !
وأنَّ الصوفية من أهل السنَّة والجماعة !!)
(الحلقة الثالثة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه أما بعد :

١٠- قال القارئ :

" وهؤلاء الذين أنكروا عليَّ التلطف مع الصوفية ، وأطلقوا عليَّ ألسنة حدادا ونالني من شتائمهم نصيب يدعون أنهم سلفيون ، فأين هم من إمام السلفيين في عصرنا سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز – رحمه الله – وموقفه من جماعة " التبليغ " مشهور ، كان يوصيني – ويوصي غيري – فيقول : تلطفوا معهم فهم أهل دعوة وصدق في الغالب ، كملوا نقصهم وناصحوهم بدلاً من أن تسبوهم ، وهم لهم أثر عظيم في هداية العصاة ، ولقد رأيت بنفسي كيف استقبل يوماً في بيته بالطائف الشيخ " إنعام الحسن " – رحمه الله – ومعه بعض شباب " التبليغ " استقبلهم هاشاً باشاً ، وأظهر الأنس بهم ودعا لهم ونصحهم وتلطف معهم غاية التلطف ، والشيخ إنعام الحسن وقتها هو رئيس جماعة التبليغ ، ورؤساء التبليغ صوفيون نقشبنديون جشتيون وأتباعهم من أهل الهند والباكستان كذلك والشيخ ابن باز – رحمه الله – يعلم ذلك " .

أقول :

يبدو أن القارئ يعتبر المناقشات العلمية سباً وشتما ، وأن من انتقده يخرج عن دائرة السلفية إلى دائرة الدعاوى ، فماذا ينتظر ممن هذا حاله ؟ أهكذا يكون اللطف أيها الرجل ؟ وأين تأثرك بأخلاق ابن باز ؟ فهل كان ابن باز يخرج من انتقده من السلفية ويعتبر نقده سباً ؟ .

وقولك : " وموقفه من جماعة التبليغ مشهور ، كان يوصي ...الخ " .

نعم موقفه من جماعة التبليغ مشهور كان يتلطف بهم وينصح لهم ويوصي بالتلطف بهم وربما يذهب في حسن التعامل معهم إلى أبعد مما ذكرت ولكن لم يستفيدوا من هذا التعامل الراقي والأخلاق العالية ، وكانوا يخادعونه ويزعمون أنهم ينشرون الدعوة السلفية ، ولقد قرأ عليَّ الأخ حسن الصايغ كتاباً وجهه إنعام الحسن إلى الشيخ ابن باز – رحمه الله – يثني فيه على الشيخ ابن باز ويدعي فيه أنهم وجماعته ينشرون الدعوة السلفية في العالم .

فناقشت الأخ حسن – رحمه الله – وأقنعته من واقعهم أن هذه دعوى باطلة.

وذكر في هذا الكتاب أن جماعة التبليغ قد تركوا كتاب تبليغي نصاب واستبدلوا به كتاباً آخر اسمه الفضائل ، فقلت له هذه حيلة من إنعام الحسن وجماعته ، وشاء الله أن أسافر إلى كشمير أنا والشيخ عبد الرزاق العباد وعبد الرب نواب ثم في عودتنا إلى أرض الحرمين مررنا في طريقنا بدهلي في قصة طويلة تدل على مكر جماعة التبليغ بكل من يثق بهم من العلماء وطلاب العلم العرب .

لا مجال لذكرها ومن هذه القصة أنني حرصت أن أشتري كتاب تبليغي نصاب فمررنا على عدد من المكتبات المجاورة لمسجد جماعة التبليغ المركزي نسألهم عن هذا الكتاب ، فيجيبون أنه لا يوجد عندنا ، حتى كدنا نيأس منه ثم أخيراً سألنا صاحب مكتبة عن كتاب تبليغي نصاب ، فناولنا كتاباً باسم كتاب الفضائل ، فقلنا نحن نريد كتاب تبليغي نصاب ، فقال هذا هو كتاب تبليغي نصاب بعينه

لم يغير منه إلا الاسم (العنوان) ، فاشتريته ثم لما عدنا إلى المدينة سلمنا ما يسمى بكتاب الفضائل لوالد عبد الرب نواب ليقارنه بكتاب تبليغي نصاب فقام بهذا المطلب فوجد أن كتاب الفضائل هو بعينه كتاب تبليغي نصاب ، فزدنا بصيرة بمكر وكذب وحيل هذه الفئة .

ولأسباب وأمور أدرك ابن باز مكر هذه الفئة وتأكد من فساد عقيدتهم ومنهجهم فأصدر عدداً من الفتاوى يبيِّن فيها عقائدهم ويحذر من الخروج معهم –إلا للعالم الذي يمكنه أن ينقلهم من ضلالهم إلى الهدى وهاكم بعض فتاواه في آخر حياته :

سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله تعالى – عن جماعة التبليغ فقال السائل:

نسمع يا سماحة الشيخ عن جماعة التبليغ وما تقوم به من دعوة، فهل تنصحني بالانخراط في هذه الجماعة، أرجو توجيهي ونصحي، وأعظم الله مثوبتكم ؟

فأجاب الشيخ بقوله:

((كل من دعا إلى الله فهو مبلغ ((بلغوا عني ولو آية)) ، لكن جماعة التبليغ المعروفة الهندية عندهم خرافات، عندهم بعض البدع والشركيات، فلا يجوز الخروج معهم، إلا إنسان عنده علم يخرج لينكر عليهم ويعلمهم.

أما إذا خرج يتابعهم، لا.

لأن عندهم خرافات وعندهم غلط، عندهم نقص في العلم، لكن إذا كان جماعة تبليغ غيرهم أهل بصيرة وأهل علم يخرج معهم للدعوة إلى الله.

أو إنسان عنده علم وبصيرة يخرج معهم للتبصير والإنكار والتوجيه إلى الخير وتعليمهم حتى يتركوا المذهب الباطل، ويعتنقوا مذهب أهل السنة والجماعة)).أهـ

[[فليستفد جماعة التبليغ ومن يتعاطف معهم من هذه الفتوى المبنية على واقعهم وعقائدهم ومناهجهم ومؤلفات أئمتهم الذين يقلدونهم]].

[فرغت من شريط بعنوان (فتوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز على جماعة التبليغ) وقد صدرت هذه الفتوى في الطائف قبل حوالي سنتين من وفاة الشيخ وفيها دحض لتلبيسات جماعة التبليغ بكلام قديم صدر من الشيخ قبل أن يظهر له حقيقة حالهم ومنهجهم]

وسئل سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز – رحمه الله تعالى –:

أحسن الله إليك، حديث النبي -ﷺ- في افتراق الأمم: قوله: ((ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة إلا واحدة)).

فهل جماعة التبليغ على ما عندهم من شركيات وبدع.

وجماعة الأخوان المسلمين على ما عندهم من تحزب وشق العصا على ولاة الأمور وعدم السمع والطاعة.

هل هاتين الفرقتين تدخل...؟

فأجاب – غفر الله تعالى له وتغمده بواسع رحمته –:

تدخل في الثنتين والسبعين، من خالف عقيدة أهل السنة دخل في الثنتين والسبعين، المراد بقوله (أمتي) أي: أمة الإجابة، أي: استجابوا له وأظهروا اتِّباعهم له، ثلاث وسبعين فرقة: الناجية السليمة التي اتبعته واستقامت على دينه واثنتان وسبعون فرقة فيهم الكافر وفيهم العاصي وفيهم المبتدع أقسام.

فقال السائل: يعني: هاتين الفرقتين من ضمن الثنتين والسبعين؟

فأجاب:

نعم ، من ضمن الثنتين والسبعين والمرجئة وغيرهم، المرجئة والخوارج بعض أهل العلم يرى الخوارج من الكفار خارجين، لكن داخلين في عموم الثنتين والسبعين.

[ضمن دروسه في شرح المنتقى في الطائف وهي في شريط مسجّل وهي قبل وفاته -رحمه الله- بسنتين أو أقل]

وقولك :

" ورؤساء التبليغ صوفيون نقشبنديون جشتيون ، وأتباعهم من أهل الهند والباكستان كذلك ، والشيخ ابن باز – رحمه الله – يعلم ذلك " .

أقول :

قد تقدم أن جماعة التبليغ أهل مكر وأنهم يتظاهرون للشيخ ابن باز بأنهم يدعون إلى منهج السلف ، هل حولهم حلم الشيخ عليهم ولطفه بهم ..الخ عن هذه الطرق النقشبندية والسهروردية والجشتية إلى آخر الطرق التي يخجل الصوفية جميعاً من الجمع بين هذه الطرق الأربع ، هل رجع إنعام الحسن عنها أو رؤساء التبليغ أو أتباعهم أو بعضهم إلى الجادة ؟ .

وهل تعلم ماذا تحمل هذه الطرق من البلايا والرزايا ؟ إن من بلاياها القول بوحدة الوجود .

يقول بعض أكابر النقشبنديين في معنى " لا إله إلا الله " أحياناً يقول : " لا معبود إلا الله وأحياناً لا مقصود إلا الله وأحياناً لا موجود إلا الله " كتاب رشحات عين الحياة (ص١٤١) بواسطة كتاب حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية لعبد الرحمن دمشقية (ص٥٧) وكل هذه الأقوال تدندن حول وحدة الوجود .

٢- تفضيلهم الذكر بقول " هو " على الذكر بقول لا إله إلا الله ، فقد ذكروا أن (لا إله إلا الله) ذكر العوام و(الله) ذكر الخواص و(هو) ذكر خواص الخواص .

٣- وعندهم أن شاه نقشبند يحي ويميت ، انظر كتاب حقائق خطيرة السالف الذكر (ص٣٨) .

ويتمثل شيخ نقشبند وأتباعه بأقوال الحلاج ، منها هذا البيت :

كفرت بدين الله والكفر واجب ... لدي وعند المسلمين قبيح

(ص٣٨) من المصدر السابق وعزاه لعدد من مصادر النقشبندية ، وهم يعظمون الحيوانات ويعتبرونها من شيوخهم كالبازي والهرة والكلب والفهد والنحلة ويعتبرونها من شيوخهم " (ص٤٣) المصدر السابق .

فهذه واحدة من الطرق التي يبايع عليها جماعة التبليغ .

١١- قال القارئ :

" خامساً - نحن الآن في زمن عصيب ، طوقنا العدو المشترك وهو ذو ثلاث شعب : اليهود ، وأمريكا ، والروافض ، وهذا العدو نبت من أحداث العراق الجسام وما وقع في لبنان انه يستهدف " أهل السنة " جميعاً ، على اختلاف مذاهبهم ، فهل يصح أن نتشاجر نحن أهل الدائرة الواحدة المستهدفة – دائرة أهل السنة والجماعة ، ألا يجب أن نتكاتف ضد الأخطار التي تهددنا جميعاً ؟ ومن أهم عوامل التكاتف أن نبحث عن نقاط الاتفاق ، ويعذر بعضنا بعضاً في مسائل الاختلاف ، مع وجوب الاحتكام فيها إلى الكتاب والسنة ، طاعة لربنا عز وجل الذي قال : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) " .

أقول :

إن هذا العدو المشترك نبت من فجر تاريخ الإسلام ومن أخطر مراحله الحروب الصليبية وحركات الاستعمار وهذا العدو ليس محصوراً فيمن ذكرت فدائرته أوسع يدخل فيها أوروبا بل هي أصل أمريكا ويدخل فيها روسيا والصرب والهند والصين .

ولكن العلاج الصحيح ليس هو هذا العلاج السياسي الإخواني الذي طرح منذ سبعين عاماً ليجمع الروافض والصوفية والنصارى وعلى مر الأيام لا تزيد مشاكل المسلمين إلا حدة وشدة ولا يزال الإخوان المسلمون يبتعدون عن

الكتاب والسنة ومنهج السلف ولا تزال دائرة منهجهم تتسع حتى أصبحوا دعاة إلى وحدة الأديان وعقدوا لها مؤتمرات في دولتهم وبابهم مفتوح للتعاون مع الشيوعيين والعلمانيين والناصريين وغيرهم وأمرهم معلوم للعقلاء البصراء ، فهل أنت راض عن هذا المنهج وثماره وما أدى إليه ؟ إن الحل الصحيح الذي يؤهل الأمة لرضى الله ودخول جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ويؤهلها للنصر على هذه القوى التي تستهدف الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أن تعود الأمة إلى كتاب ربها وسنة نبيها وإلى ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولنضع نصب أعيننا نصوص الكتاب والسنة (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وحبل الله هو كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل: (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ولقد تفرقت بهم السبل التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم إن على كل سبيل منها شيطان ولم ينج من هذا البلاء إلا من اعتصم بكتاب ربه وسنة نبيه وهم قليل ينتقدون هذه الفرق التي ندت وشذت عن الصراط المستقيم ويدعونها إلى الحق ومن النصوص النبوية قوله صلى الله عليه وسلم : " إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع واتبعتم أذناب البقر وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم " أي الدين الذي رضيه الله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

لقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم الداء وأسبابه وقدم لنا العلاج فإن كان هناك دعاة مخلصون فهذا هو العلاج الصحيح وهو الطريق الوحيد لإزالة الذل ورفعه ودفعه .

العلاج يا أخي هو الرجوع الصحيح الذي أراده الله وأراده الرسول في هذا التوجيه العظيم المنطلق من الوحي (إن هو إلا وحي يوحى) .

لا علاج الإخوان المسلمين الذي تبين ضلاله وخطؤه وفشله وسوء منقلبه .

انتبه أيها المسلم للحيل السياسية التي لا تزيد الأمة إلا خذلاناً وذلة تحت أقدام أعدائها ، وكل هذا من ثمار البدع ، وإذن فيجب أن يسبق الرجوع إلى الكتاب والسنة والتحاكم إليهما والتجمع عليهما بصدق وإخلاص لا التجمع السياسي المغفل والمستغفل الذي ظهرت ثماره الوخيمة كما أسلفنا ولقد جربنا أن أصحاب هذه الدعوة أول من ينفر عن التحاكم إلى الكتاب والسنة وينفر منها ومن أهلها ، ولقد بين الناصحون هذا الأمر العظيم من قبل أن يأتي هذا التجمع السياسي الأبله ومن بعده ولكن لا حياة لمن تنادي .

وينبغي أن أذكر هنا موقف شيخ الإسلام ابن تيمية عندما زحف التتار على دمشق والشام واستقبله أهل الشام الذين حطمهم التصوف فكانوا في هذه المواجهة يرددون هذين البيتين :

يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر
لوذوا بقبر أبي عمر تنجيكم من الضرر

فقال لهم شيخ الإسلام سوف تهزمون أنتم وأبو عمر أو كما قال ، قال وتخلف علماء لأنهم يرون أن هذا الجهاد غير شرعي .

وذهب شيخ الإسلام يربي شباباً ورجالاً على التوحيد والدين الصحيح حتى توفر له منهم من أطمأن إلى أنه لا بد أن ينتصروا على عدوهم فكان يقول لهم ولغيرهم النصر لنا مؤكد فيقولون له قل إن شاء الله فيقول إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقا وكان يشبه حال هذا الجند بحال أهل الخندق ، وخاض المعركة مع أعتى قوة آنذاك ونصر الله جنده الموحدين كما وعدهم وهو تعالى لا يخلف الميعاد وكان هذا الجند على غاية من الثقة بإنجاز هذا الوعد . فإن كنت أيها

القارئ تتعلق بابن تيمية فتعلق بمثل هذا في هذه الظروف العصيبة التي يجب أن يسبق فيها رجوع الأمة إلى كتاب ربها وسنة نبيها لا التجمع المضاد لما أراده الله ورسوله والذي لا نتيجة له إلا الخزي في الدنيا قبل الآخرة .

١٢- قال القارئ :

" وهنا مسائل تتعلق بموضوعنا تستحق الإشارة إليها ، وهي : أهل السنة والجماعة : هل هم على مذهب واحد ؟ هم على منهج واحد ، ومذاهب متعددة ، وهذا مبني على جواز تعدد الاجتهاد من المجتهدين ، فبعضهم مصيب وبعضهم مخطئ ، والجميع في ظل منهج واحد ، ولذلك هم دائرون بين الأجر والأجرين . وإلا كيف نفسر تعدد المذاهب الفقهية مثلاً وعلى رأسها المذاهب الأربعة ، أليست مذاهب متعددة داخل أهل السنة والجماعة " .

أقول :

يظهر أن القارئ لم يفقه منهج السلف ولم يقرأ التاريخ الصحيح لأهل السنة ولذا يخلط الحق بالباطل وبين أهل السنة وأهل البدع .

فنقول له الأصل الأصيل والواجب المحتم على الأمة أن تتبع الكتاب والسنة وأنه لا يجوز لأحد أن يتعمد مخالفة نص من نصوص الكتاب والسنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أمر مجمع عليه من الصحابة فمن بعدهم لكن هناك حالات يعذر فيها المجتهد المخلص الجاد في طلب الحق إذا خالف نصاً كأن لا يبلغه النص فيبذل جهده في الوصول إلى الحق لكنه لم يوفق للصواب فيقع في مخالفة النص أو بلغه النص من وجه ضعيف فعمل بخلافه على أساس قياس يراه صحيحاً فهذا يعذر ويثاب على خطئه الذي وقع فيه ويدخل في قول الله تعالى : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)

وفي قول رسول الله صلى اله عليه وسلم : " إذا أجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر " .

وهناك أعذار أخر ذكرها شيخ الإسلام في كتابه "رفع الملام عن أئمة الإسلام " فليرجع إليه من أراد معرفتها .

وانطلاقاً من هذا المنهج كان يرجع الصحابة عن أخطائهم والعلماء عن أخطائهم ومنه رجع أبو يوسف ومحمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة عن ثلث أو ثلثي المذهب بعدما تبين لهم أن الحق في خلاف مذهب أبي حنيفة .

وأما من يعاند ويرد النصوص لأجل مذهبه فهذا مذموم وقد يقع في الكفر كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[1] .

وقد شدد العلماء النكير على متعصبي المذاهب وردوا عليهم في مؤلفات مثل أبي شامة الشافعي في كتابه " المؤمل في الرد إلى الأمر الأول " والسيوطي في " الرد على من أخلد " .

بل كم حارب هذه النوعيات شيخ الإسلام ابن تيمية في كتبه ولا سيما كتاب " بطلان بيان التحليل " وكذلك ابن القيم في كتابه " إعلام الموقعين " وكذلك ألف في هذا الباب الفلاني ، والصنعاني ، والشوكاني وانتقد الإمام محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه هذا التعصب الأعمى للمذاهب بل سبق الأئمة أنفسهم إلى ذلك ، كمالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة ونهوا عن الأخذ بأقوالهم دون نظر في أدلتهم هذا وليعلم أن الأئمة لم يسعوا في إنشاء مذاهب ليتعصب لها ، وإنما وجدت بالصورة التي عليها المذاهب الآن وقبل الآن ، والتعصب لها ورد الحق من أجلها يسبب اتباع كثير منهم

---

(١) انظر كتاب الإيمان (ص٦٧) .

لأهوائهم وإرادة العلو وحب الظهور ، ومن هنا جاء نقد الأئمة الأعلام الصادقين المخلصين لهذه التعصبات التي أدت ببعض المتعصبين إلى أن يحرم التزاوج مع أهل المذاهب الأخرى بل أدت إلى القتال والتدمير للقرى كما حصل في الشرق بين الأحناف والشافعية وأدى إلى الطعن في المذاهب وأئمتها ، يطعن أهل المذاهب بعضهم بعضاً حتى يصل الطعن إلى الأئمة ، فهذا من أسرار بقاء المذاهب على هذه الصورة .

ولا شك أن هذه الصورة مخالفة لما كان عليه أهل القرون المفضلة بل مخالفة لمنهج أئمة المذاهب.

من خلط القارئ أنه لا يفرق بين أئمة الاجتهاد في الفقه (الفروع) وبين الاختلاف في الأصول ولا شك أن هناك أصولاً لأهل السنة من خالفها خرج عن دائرة أهل السنة إلى دائرة أهل البدع والأهواء .

١٣- قال القارئ :

" إن من يقول إن أهل السنة والجماعة مذهب واحد يلزمه أن يخرج هذه المذاهب الأربعة من دائرة أهل السنة والجماعة ، وهم فعلاً يعتقدون ذلك ، ويعتبرون تعدد هذه المذاهب الفقهية مظهر انحراف .

الزهد الذي هو أساس التصوف الصحيح أعظم أنموذج له هو زهد النبي صلى الله عليه وسلم قال : " حبب إليَّ من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة " وقال : " .. أصلي وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم وأتزوج النساء " وهذا يعطينا ضابطاً نضبط به زهد الصوفية فإذا ظهر فيه غلو أو رهبانية رددناه إلى الكتاب والسنة فأبطلناه ، وإذا ظل ملتزماً بحدود الشريعة ، وحكم الكتاب والسنة قبلناه ، هكذا أوصى أئمة الصوفية الممدوحون عند المسلمين " .

أقول :

١- لا تخلط بين قضايا الفروع والأصول ، فهناك أصول من التزمها فهو من أهل السنة ولو انتمى إلى أحد المذاهب الأربعة فهو من أهل السنة ومن خالفها فهو من أهل تلك الأصول المخالفة المبتدعة ، وقد ذكر هذه الأصول أئمة الإسلام في كتب العقائد فمن خالفها بدعوه ومن التزمها وثبت عليها اعتبروه من أهل السنة .

من هذه الأصول التوحيد بأنواعه توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات فمن خالف في واحد من هذه الأنواع بدعوه وقد خالفت الجهمية فعطلوا في باب الأسماء والصفات فعطلوا أسماء الله وصفاته فبدعهم السلف بل كفروهم ، وتابعهم في نوع التعطيل في هذا الباب المعتزلة فعطلوا الصفات وأثبتوا الأسماء دون معانيها .

وتابع الأشعرية والكلابية الجهمية في تعطيل الصفات الخبرية فجعلهم السلف من أصناف الجهمية وشاركت الصوفية هذه الفرق في تعطيل الصفات[١] وأوغلت في ذلك حتى وقعت في الحلول ووحدة الوجود من زمن الحلاج إلا أفراداً منهم وانحرفت في توحيد الربوبية فاعتقدت في الأولياء بأنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون .

وانحرفت الصوفية في توحيد العبادة فجعلوا مع الله أنداداً في الدعاء والاستغاثة في الشدة بالأموات والأحياء وفي تقديم القرابين لغير الله من الذبائح والنذور وشد الرحال إلى القبور والطواف بها وتشييد البنيان عليها وغير ذلك من الأفعال الشنيعة التي يأنف منها ويسخر منها اليهود والنصارى والهندوك ، واذهب إلى ما شئت من البلدان غير هذه البلاد لترى

(١) بعض أفراد الصوفية قد يشارك أهل السنة في باب الأسماء والصفات كالسلمي ولكنه يأتي بطوام عظيمة في تصوفه وفي تفسيره المعروف بـ " حقائق التفسير" .

فيها هذه الشنائع والمخازي مثل الهند وباكستان والسودان ومصر وتركيا وسوريا والعراق وبخارى ثم احكم على الطرق الصوفية التي تفعل هذه الأفاعيل بما يستحقون هل هم من أهل السنة أو من شرار الضلال وأهل البدع الواقعين في الشرك الأكبر والضلال البعيد .

نحن لا نكفرهم لجهلهم إلا بعد إقامة الحجة أما التبديع وإخراجهم عن دائرة أهل السنة فلا يتقاعس عنه إلا أجهل الناس بالإسلام وأبعدهم عن السنة .

الأصل الثاني : الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى ، خالف فيه المعتزلة القدرية منهج أهل السنة والجماعة وأخرجوا أفعال العباد عن قدرة الله ومشيئته واعتقدوا أن العباد يخلقون أفعالهم ولا دخل لمشيئة الله وإرادته وقدرته في ذلك فضللهم أهل السنة وبدعوهم وبعضهم يكفرهم وبينوا ذلك بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقابلهم الجبرية فعطلوا قدرات العباد واختيارهم ومشيئتهم وقالوا إن العباد مجبرون على أفعالهم لا قدرة لهم ولا مشيئة ولا اختيار فهم كالريشة والأشجار تحركهم الرياح بدون إرادة ومشيئة ، ووقع الصوفية في هذا الضلال فلا شك أنهم مبتدعة ضلال بهذه العقيدة الخبيثة التي تهدر الشريعة الإسلامية وتعطل نصوص الأمر والنهي والوعد والوعيد .

الأصل الثالث : دل القرآن والسنة على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وأن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان وخالفهم في ذلك الخوارج والمعتزلة والمرجئة ، فقالت الخوارج الإيمان قول وعمل واعتقاد لكن مرتكب الكبيرة المصر عليها يخرج من الإيمان وحكم الخوارج بكفره واستحلال دمه وماله وحكموا عليه بالخلود في النار وأخرجه المعتزلة من دائرة الإيمان ولم يدخلوه في الكفر بل جعلوه في منزلة بين المنزلتين ثم حكموا عليه بأنه من المخلدين في النار .

وقابلهم المرجئة فأخرجوا العمل من الإيمان فقال بعضهم إن الإيمان هو المعرفة فقط أو التصديق فقط وقالت معها مرجئة الفقهاء إن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب والعمل ليس من الإيمان ، وأنكر السلف هذه الأقوال الشنيعة وبدعوا أهلها ، ودخلت الصوفية في الإرجاء .

والأصل الرابع : أن القرآن كلام الله وكفر السلف من قال : إن القرآن مخلوق وبدعوا من قال لفظي بالقرآن مخلوق أو توقف فقال القرآن كلام الله ولا أقول مخلوق ولا غير مخلوق وقالت الأشاعرة إن كلام الله هو الكلام النفسي والقرآن الذي بين أيدينا مخلوق وتابعهم الصوفية في ذلك .

الأصل الخامس : دل الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة على مكانة الصحابة ومنزلتهم عند الله ولقد أثنى الله عليهم وزكاهم وكذلك أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزكاهم وبين أن حبهم إيمان وبغضهم نفاق لأنهم آمنوا بالله ورسوله حق الإيمان وحازوا قصب السبق في العمل بأوامر الله واجتناب نواهيه وجاهدوا لإعلاء كلمة الله بأموالهم وأنفسهم وهدى الله على أيديهم أمماً وشعوباً إلى آخر فضائلهم التي لم يسبقهم غير الأنبياء سابق ولا يلحقهم لاحق فمن أبغضهم أو سبهم فهو ضال ، وبغضه لهم من علامات نفاقه ، ومن كفرهم فهو الكافر .

هذه لمحة موجزة ولا مجال لاستيفاء أصول أهل السنة التي من خالف فيها أو في بعضها حكموا عليه بالبدعة وأخرجوه من دائرة أهل السنة ولو انتمى إلى أهل الحديث أو إلى المذاهب الأربعة أو غيرها ولا شك أن للصوفية نصيباً وافراً من البدع ولا يغني عنهم شيئاً تسترهم بالمذاهب الأربعة .

والذي يتأمل كلام القارئ يدرك أنه يجهل منهج أهل السنة والجماعة أو هو يعرفه ، ويلجأ إلى التمويه والمغالطات التي تضره وتضر بالصوفية الذين يدافع عنهم ويحق لي أن أتمثل بالبيت الآتي :

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة   وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

ونعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن لبس الحق بالباطل .

وقول القارئ : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " حبب إليَّ من دنياكم الطيب والنساء .... الحديث ، وقوله : " أصلي وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم وأتزوج النساء " وهذا يعطينا ضابطاً نضبط به زهد الصوفية ، فإذا ظهر فيه غلو أو رهبانية رددناه إلى الكتاب والسنة فأبطلناه ، وإذا ظل ملتزماً بحدود الشريعة وحكم الكتاب والسنة قبلناه ، هكذا أوصى أئمة الصوفية الممدوحون عند المسلمين " .

أقول :

قد ظهر في الصوفية الأوائل الغلو والرهبانية في ملابسهم وطهارتهم ومساكنهم وأربطتهم وفي طعامهم وشرابهم وتعبدهم بالجوع والعطش المهلك ، وقع في ذلك كبار الصوفية ومنهم سهل بن عبد الله التستري وأبو يزيد البسطامي والشبلي .

وقد عقد ابن الجوزي في ذلك فصولاً في بيان حالهم وفصولاً في مناقشتهم انظر تلبيس إبليس (ص ١٥٦-١٦٦)

فغلوهم قد حصل فعلاً ، فقول القارئ " فإذا ظهر فيهم غلو ....الخ " مغالطة تتضمن أنه لم يظهر منهم شيء من ذلك في أسلاف الصوفية .

أقول :

وأما متأخروهم فقد تغيرت حالهم وصاروا طلاب دنيا وأكلة سحت .

قال ابن الجوزي : إنه كان أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهداً فيها وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير إلا أنهم غلطوا في هذا الفعل كما ذكرناه من مخالفتهم بذلك للشرع والعقل ، فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدنيا وجمع المال من أي وجه كان إيثارا للراحة وحباً للشهوات فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل ويجلس في الرباط أو المسجد ويعتمد على صدقات الناس وقلبه معلق بطرق الباب ، ومعلوم أن الصدقة لا تحل لغني ولا لذي مرة سوي ولا يبالون بمن بعث إليهم فربما بعث إليهم الظالم والماكس فلم يردوه وقد وضعوا في ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك بالفتوح ، ومنها أن رزقنا لابد أن يصل إلينا ، ومنها أنه من الله فلا يرد ولا نشكر سواه .

وهذا كله بخلاف الشريعة وجهل بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه .

وساق -رحمه الله- حديث النعمان بن بشير -رضي الله عنه- " إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس ... الحديث .

ثم قال : وبلغنا أن بعض الصوفية دخل على بعض الأمراء الظلمة فوعظه فأعطاه شيئاً فقبله ، فقال الأمير كلنا صيادون ثم الشباك يختلف .

ثم قال : ولقد كان أوائل الصوفية ينظرون في حصول الأموال من أي وجه ويفتشون عن مطاعمهم ، وقد سئل أحمد بن حنبل عن السري السقطي ، فقال الشيخ المعروف بطيب المطعم[1] ، قال السري صحبت

---

(١) يبدو أن هذا المدح من الإمام أحمد للسري قبل أن يعرف حاله فلما عرف حاله حذر منه .
انظر (ص١٥٠) من تلبيس إبليس .

جماعة إلى الغزو فاكترينا داراً فنصبت فيها تنوراً فتورعوا أن يأكلوا من خبز ذلك التنور .

فأما من يرى ما تجدد من صوفية زماننا من كونهم لا يبالون من أين أخذوا فإنه يعجب ، ولقد دخلت بعض الأربطة فسألت عن شيخه فقيل لي : قد مضى إلى الأمير فلان يهنئوه بخلعة قد خلعت عليه ، وكان ذلك الأمير من كبار الظلمة ، فقلت ويحكم ما كفاكم أن فتحتم الدكان حتى تطوفوا على رؤوسكم بالسلع يقعد أحدكم عن الكسب مع قدرته عليه معولاً على الصدقات والصِّلات ثم لا يكفيه حتى يأخذ ممن كان ثم لا يكفيه حتى يدور على الظلمة فيستعطي منهم ويهنئوهم بملبوس لا يحل وولاية لا عدل فيها والله إنكم أضر على الإسلام من كل مضر " .

ثم قال فصل : وقد صار جماعة من أشياخهم يجمعون المال من الشبهات ثم ينقسمون :

فمنهم من يدعي الزهد مع كثرة المال وحرصه على الجمع وهذه الدعوى مضادة للحال .

ومنهم من يظهر الفقر مع جمعه المال ، وأكثر هؤلاء يضيقون على الفقراء بأخذهم الزكاة ولا يجوز لهم ذلك .

وذكر عن شيخ لأحد الأربطة أنه كان يلبس الصوف صيفاً وشتاء ويقصده الناس يتبركون به ، فمات فخلف أربعة آلاف ديناراً .

قال : وهذا فوق القبيح وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً من أهل الصفة مات فخلف دينارين فقال صلى الله عليه وسلم : " كيتان " تلبيس إبليس ص(١٦٥/١٦٧) .

أقول :

هذا في صوفية زمانه فكيف لو رأى صوفية ما بعده إلى هذا الوقت ؟! وقد فسدت عقائدهم بالحلول ووحدة الوجود وأنواع العقائد الفاسدة وأنواع الشرك وعبادة القبور وسدانتها وأكل أموال الناس بالباطل وأكل النذور التي تقدم لهذه القبور ؟!

وإنشاء الإدارات والصناديق لنهب أموال الناس بالطرق الإجرامية والحيل فأفسدوا بهذه الأعمال عقول المسلمين وعقائدهم مما كان سبباً في تسليط الله عليهم أعداء الإسلام يدوسون كرامتهم ويستعمرون بلادهم فأي خدمة لأعداء الإسلام تفوق هذه الخدمة .

١٤- قال القارئ :

" قال الجنيد – رحمه الله – : " علمنا هذا مبني على الكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الشأن " (مجموع الفتاوى ٤١٢/١٠) " .

أقول :

هذا النقل عن شيخ الإسلام فيه خلل بل مغالطة من القارئ ، إذ هو يتحدث عن مساوئ الصوفية التي تبين حقيقة ما هم فيه من جهل وضلال وأن الشيطان يزين لهم عباداتهم البدعية ويبغضهم في العلم والقرآن والحديث ويبغض إليهم الكتب ، وكثير منهم ينفر ممن يذكر الشرع أو القرآن أو من معه كتاب أو يكتب ، وهذا الداء واقع في الصوفية من عهد سهل التستري .

وكلام الجنيد يواجه واقعاً صوفياً فيدفعه واقعهم المر إلى هذا القول وإن كان لا يجدي فيهم كلامه ولا كلام غيره ، وكلام الجنيد هذا لا يرفع شيئاً من شأن الصوفية والتصوف إذ حالهم النفور من العلم وأهله ، وهذا كلام شيخ الإسلام الذي يعتبر من أقوى الحجج عليك وعلى الصوفية . قال – رحمه

الله —كما في (١٠/٤١١-٤١٢):(وأهل العبادات البدعية، يزين لهم الشيطان تلك العبادات، ويبغض إليهم السبل الشرعية حتى يبغضهم في العلم والقرآن والحديث، فلا يحبون سماع القرآن والحديث، ولا ذكره، وقد يبغض إليهم حتى الكتاب، فلا يحبون كتابا، ولا من معه كتاب، ولو كان مصحفًا أو حديثًا، كما حكى النصراباذي أنهم كانوا يقولون: يدع علم الخرق، ويأخذ علم الورق، قال: وكنت أستر الواحى منهم، فلما كبرت احتاجوا إلى علمي.

وكذلك حكى السري السقطي: أن واحدًا منهم دخل عليه فلما رأى عنده محبرة وقلمًا خرج، ولم يقعد عنده، ولهذا قال سهل بن عبد الله التستري: يا معشر الصوفية، لا تفارقوا السواد على البياض، فما فارق أحد السواد على البياض إلا تزندق. وقال الجنيد: علمنا هذا مبني على الكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الشأن.

وكثير من هؤلاء ينفر ممن يذكر الشرع، أو القرآن أو يكون معه كتاب أو يكتب، وذلك؛ لأنهم استشعروا أن هذا الجنس فيه ما يخالف طريقهم، فصارت شياطينهم تهربهم من هذا، كما يهرب اليهودي والنصراني ابنه أن يسمع كلام المسلمين حتى لا يتغير اعتقاده في دينه، وكما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم في آذانهم، ويستغشون ثيابهم لئلا يسمعوا كلامه ولا يروه، وقال الله تعالى عن المشركين: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} [فصلت: ٢٦]، وقال تعالى: {فَمَا لَهُمْ عَنْ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ. كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ. فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ} [المدثر: ٤٩ – ٥١]. وهم من أرغب الناس في السماع البدعي، سماع المعازف. ومن أزهدهم في السماع الشرعي سماع آيات الله تعالى".

فهذا حال الصوفية الأوائل الذي يعرفه شيخ الإسلام وغيره فلماذا يكتمه القارئ ويجتزئ بكلام الجنيد الذي لا يستفيد منه صوفية عصره فضلاً عمن بعدهم ولماذا يجعل القارئ من ابن تيمية مدافعاً عن الصوفية وهو يذمهم أشد الذم ؟ !!

كتبه

الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي

٢٧/شعبان/١٤٣٦هـ